www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

جنام اللؤلؤ

(كلمات في مكانة الأم)

بقلم
د. عبد الحكيم الأنيس
إدارة البحوث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحمد لله، وصلى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه. وبعد:

أجملُ حديثٍ في الدنيا هو الحديثُ عن الأُمِّ.

وما أظنُّ أحداً يعارِض في هذا أبداً.

فالأمُّ زينة الحياة، وسلوة الهموم، ومَفزَع الإنسان كلما نالتْ منه الآلام، واعترضتْ طريقَه المتاعب.

لا يُمكن للرجلِ أنْ يبكي على صدر زوجته، ولا أنْ يظهر ضعفَه أمامها، ولكنّه لا يتحرج أنْ يرمي برأسه على صدر أُمِّه، ويبكي ويبثَّها همَّه، ويُخرج ما في قلبه من شجن حارٍّ، وهمٍّ مقيم، مهما كان عمرُه، ومهما كانتْ منزلته.

ويمرضُ الإنسانُ، وقد يطولُ مرضُه، فيملُّه أقربُ الناس إليه، مِن زوجة وولد، إلا الأم التي حملتْه في أحشائها تسعة أشهر، فإنها تحمُل همَّه مدى الحياة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عشـتُ مغتربـاً بعيداً عن بلدي أكثـرَ العمر، وكنـتُ ألتقي بأمِّي في بـلاد مختلفة، وسـنوات متباعدة، ولا أنسـى أبـداً أنّنـي ودعتُها مرة في أحد المطارات وسـرتُ لأسـتقل سـيارة إلى البلد الذي أقيم فيه، ولم أكن أدري أنها نسـيتْ نفسـها فتبعتني – وأنا لا ألتفتُ حتى لا أرى دموعها – ومشتْ حتى تاهتْ وضيعتْ مكانَ انطلاقها.

الأمُّ هـي القلـب الـذي لا يَنبِض بغيـر الحـب، وهـي الوفيـة التي لا تُغيِّرها الأيام، وهي الصديقُ الذي لا يُمكن أنْ يغدر مطلقاً.

جـرِّب أنْ تتصـل بأمِّـك، وتَشْـعُرُ في صـوتك أثرَ ضـعفٍ أو مرضٍ وانظر كيف يكون قلقُها عليك، وانشغالُها بك.

أخبرْها أنّك في ضيقٍ نفسي أو مادي، حسي أو معنوي، وانظرْ كيف تضعُ أمامَك كل ما تملك من الدنيا.

الأمُّ معجـزة ربانيـة تدلنـا على عظمـة الخالق الـذي أوجدَ هذا الكائن، الذي لا يشبهه شيء أبداً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويُحدِّثنـا التاريـخُ أنَّ رجلاً في بغداد ضـاقتْ بـه الدنيا، ونال منه الفقرُ، وأمضَّـه الجوعُ فخرج يمشي هائماً على وجهه، وإذا بامرأة من الجيران تناديه وتسـألُه: ما بالكَ مغموماً؟ فأخبرها بحاله، فقالت لـه: إنَّ أمَّـك أودعتْ عندي قبـل موتها ثلاث مئة درهـم، وقالت: إذا رأيتِ ولدي في شدة فادفعيها إليه.

يـا اللّه! تحمـلُ هـمَّ ولدِهـا حتـى بعـد موتهـا... وتُسـعفُهُ وهـي في برزخها.

نعـم إنّهـا الأم: الحبُّ والحنانُ والوفـاءُ والإيثارُ والصـدقُ والنبلُ والجمالُ والخيرُ والعطاءُ والرجاءُ والغيثُ.

إنّهـا السـماءُ الزاخـرة بالأمـل الممـدود، والأزهـارُ الفيّاضـة بالعطر الأخّاذ.

وحديثُ الأم في الإسلام صفحة مشرقة، فقد جَعَلَ لها رسولُ اللّه ﷺ ثلاثةَ أرباع البِرِّ، وأخبر أنَّ الجنة عند رجليها:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردتُ أن أغزو وقد جئتُ أستشيرك، فقال: هل لك مِنْ أُمٍّ؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإنَّ الجنةَ عند رجليها.

وحين نقرأ القرآن نجدُ للأُمِّ من التكريم والتعظيم ورفعة الشأن ما يثير العجَبَ، ويبعث على الإعجاب.

انظروا إلى قول الله مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾. وتأملوا في هذا التعبير... إنَّ قرةَ عينِ الأمِّ وعدمَ حزنها إرادةٌ ربانيةٌ عظمى.

ومِن الجميل جداً إذا قرأنا القرآنَ أنْ نتوقف عند الأمهات لنرى بأنفسنا كيف تحدَّث الخالقُ عنهن، وكيف قرَنَ رضاه برضاهن.

ويحدِّثنا الصحابيُّ الجليل معاذ بن جبل أنّ الله كلّم موسى ثلاثة آلاف وخمس مئة كلمة، فكان آخر كلامه: يارب أوصني. قال: أوصيك بأمك. حتى قال له سبع مرات، ثم قال: يا موسى ألا إنَّ رضاها رضاي، وسخطها سخطي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأدركَ أصحابُ النبي ﷺ هذه المنزلة فكانوا في البر رموزاً تتلألأ في سماء العرفان.

قال رجلٌ لعمر بن الخطاب: إنَّ لي أُمّاً بلغ بها الكِبَرُ أنها لا تقضي حاجتها إلا وأنا أحملها على ظهري، فهل أديتُ حقَّها؟

قال: لا، إنها كانت تصنعُ بك ذلك وهي تتمنى بقاءَك، وأنت تصنعه بها، وتتمنى فراقها!

وكان أعرابيٌّ يطوف بالكعبة وهو يقول:

أحمِلُ أمِّي وهي الحمّالة تُرضعني الدَّرة والعُلالة

فقال عمرُ: لَأَنْ أكونَ أدركتُ أمِّي فصنعتُ بها ما تصنعُ بأمِّك لكان أحبَّ إليَّ من حُمْر النَّعم.. أحب إلي من النوق الحمر - وهي أعز مال عند العرب -...

وحدَّثني مَنْ حجَّ في الموسم الأخير أنَّ الحجيجَ رأوا رجلاً يحملُ أمَّه على كتفيه ويطوفُ بها فاغرورقت العيونُ بالدموع تأثراً بهذا المشهد الإنساني النبيل...

أيتها الأمُّ يا مُربية الرجال، وصانعة الأبطال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيتها الأمُّ يا مضربَ الأمثال، ومفزَع الأجيال.

أيتها الأمُّ يا أُنس الجمال، ونظرة الجلال.

أيتها الأمُّ يا جناحاً ملائكياً ينثر اللؤلؤ في كل رفة من رفّاته.

عيشي مُكللة بأكاليل الغار.

وفسَحَ اللّهُ في حياتك، لأنَّ رحيلك أشدُّ مصيبة تنزل على القلوب.

هـذا أبو العـلاء المعريّ يقول عن أُمّه: « لا آمـلُ بَعْدَها خيراً، ولا أزيدُ في المِحَنِ إلا إيضـاعاً وسـيراً... وحُزني على فَقْدها كنعيم أهل الجنّة، كلما نفِد جُدِّد ».

وهـذا الأسـتاذ بديـع الزمان النورسـي يقـول: « إنّ نصـف دنياي الخاصة قد انهدَّ بوفاة أُمّي ».

وهـذا أحمد أميـن يقولُ عن أُمّـه: « فقدتُها وأنا كبيـرٌ ولي زوجة وأولاد، ومع هذا أحسستُ بفقدها فراغاً لم يملأه شيء ».

وهذا الشاعر عبد الهادي حرب يقول:

ما عشتُ بعدَكِ إنما أنا ميِّتٌ أبكيكِ يا أمّاه حتى نلتقي...

❁ ❁ ❁